التربية العقائدية للمجاهدين
في القرآن الكريم
(مسائل في توحيد العبادة)

د. خالد بن إبراهيم الدبيان
الأستاذ المشارك بجامعة سلمان بن عبدالعزيز

ملخص البحث

تناول البحث أهمية ومنزلة المجاهد في سبيل الله، وهو ما يسمى اليوم بالعسكري ودوره في تحقيق حفظ مقاصد الشريعة، ومن أهم مقاصد الدراسة ربطه بكتاب الله، وإبراز الجوانب التربوية والمتعلقة في مسائل العقيدة.

وفي هذا البحث تم إيراد أبرز الوسائل العقائدية في التربية للمجاهدين والمستمدة من القرآن الكريم، حيث تم استعراض قصص جهاد الأمم السابقة وما آلت إليه، كما تناول البحث أهمية الأمثلة المضروبة في القرآن الكريم كوسيلة من الوسائل التربوية، وقد تم دراسة الآيات القرآنية التي تؤصل مبدأ الاعتماد على الله تعالى في الجهاد وعدم الركون إلى الماديات، كما بينت أن المقصد الشرعي من الأسباب المادية الاستعانة بها دون التوكل عليها.

ومن أبرز القيم الأخلاقية لدى المجاهدين خلق الصبر الذي أمر الله تعالى به في كثير من الآيات عند بيان القتال والمقاتلة.

والمسائل العقائدية التي تمت دراستها في البحث هي من مسائل توحيد العبادة، فبين للمجاهدين أهمية العناية بالمقصد من الجهاد والإخلاص فيه، وأن مدار الدين كله على تجريد العمل لله تعالى والمتابعة للنبي ﷺ.

وذكرت في البحث أن المجاهد يتعبد الله في جهاده بين الرجاء والخشية والخوف. كما أنه يتوكل على الله في جميع أحواله وتخطيطه ومداخله ومخارجه وفي كره وفره، وأكد على أن ممن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة (المجاهد في سبيل الله) وهو الذي جاهد لمقصد من مقاصد

الدنيا. وفي هذه الموضوعات المدروسة أستدل بالآيات القرآنية المتناولــة أحكام وأخبار المجاهدين في سبيل الله، سواء في الأمم الســابقة للأنبيــاء وأتباع الأنبياء، أو ما ذكره الله عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزواتهم.

* * *

المقدمة

جاءت الشريعة الإلهية لتحقيق العبودية لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦) وتعبد الله في أرضه وإقامة شرعه في الناس يقتضي مبدأ الترغيب والترهيب وهو منهج الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٨).

فيذكر تعالى في هذه الآية زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد، حصلت له البشارة. والمنذر والمنذر به، والأعمال التي من عملها، حقت عليه النذارة[1].

وهذه الشريعة الربانية مستلزمة أوامر يجب أن تفعل، ونواهي يجب أن تجتنب وتترك كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[2].

وقد جاءت أحكام الشريعة لتحقيق، الضروريات الخمس وهي المتفق على رعايتها في جميع الشرائع: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها، بحيث لو انحرفت، لم يبق للدنيا وجود، من حيث الإنسان المكلف، ولا للآخرة من

(١) تفسير السعدي -٢١٩

(٢) صحيح البخاري-٩/٩٤-رقم (٧٢٧٧)

حيث ما وعد بها[١].

ومن لوازم إقامة شرع الله ورعاية هذه الضروريات الخمس أن تختص فئات من الأمة تكون عليها مسؤولية هذا الأمر، وهي ما تسمى بالنيابة عن الشارع في حفظ الدين وسياسة الدنيا[٢]. ومن هذه الفئات: فئة العلماء، وفئة الأمراء، وفئة الحكام، وفئة أهل الحسبة، وفئة المجاهدين ومنهم من يسمون اليوم بالعسكريين.

ولهذا أنزل الكتاب والميزان فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥)، قال ابن تيمية عن دلالات هذه الآية: (أخبر أنه أرسل الرسل، وأنزل الكتاب والميزان، لأجل قيام الناس بالقسط. وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق، فالكتاب يهدي، والسيف ينصر، وكفى بربك هاديا ونصيرا. ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد، كما قال بعض السلف: [صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء])[٣].

وبين الفقهاء[٤] رحمهم الله أمثلة الواجبات التي يقوم بها المجاهدون — ومنهم العسكريون- نصرة للمظلوم وانتصاراً للحق وأهله، وحماية لـدين الله وحرمات المسلمين.

(١) انظر: شرح الكوكب المنير-ابن النجار-٤/٤٤٢.

(٢) السياسة الشرعية-ابن تيمية-٦٢.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -١٨/١٥٧

(٤) انظر: المجموع-النووي-٢٠/١٥٣. والشرح الكبير-ابن قدامه-١١/٤٥٨ و مقدمة ابن خلدون - ١/٢٧٧.

كما تناول الفقهاء رحمهم الله المسائل الفقهية المتعلقة بالجهاد، وأبانوا الأحكام الفقهية من أركان وواجبات وشروط وآداب في شريعة الجهاد. كما شرح علماء السير والملاحم الغزوات والوقائع العسكرية التي وقعت في عهد الرسول ﷺ وما بعده، ذاكرين أسبابها ونتائجها وتفاصيل وقائعها.

وأما مباحث العقيدة، فهي قليلة الخاصة عن المجاهدين كباقي العلوم الأخرى، وإنما يذكر الجهاد مثلاً في كتب العقائد في تأصيله العقدي، وأنه ضمن عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن حقوق ولاة الأمر، كقولهم: (ونرى الجهاد والجماعة ماضياً إلى يوم القيامة، والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين واجباً في طاعة الله تعالى دون معصيته لا يجوز الخروج عليهم، ولا المفارقة لهم)[1].

ويثبتونه كمسألة عقائدية، كقول الأشعري (ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك)[2].

وما ذكره العلماء رحمهم الله من تأصيل الجهاد في الاعتقاد من الأمور الغاية في الأهمية فرحمهم الله تعالى، وأما المسائل التفصيلية في كتب العقيدة عن موضوع الجهاد فهي قليلة جداً، أو قد لا تذكر.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية–ابن القيم–٤٩.

(٢) مقالات الإسلاميين–أبوالحسن الأشعري–١/٤١. وانظر: اعتقاد أهل السنة–أبو بكر الإسماعيلي–٥٠ وعقيدة السلف أصحاب الحديث– إسماعيل الصابوني–٩٢. ولمعة الاعتقاد–ابن قدامة–٣٣. والإبانة–الأشعري–١٩.

*** أسباب اختيار الموضوع:**

لذا أردت أن أبين ومن خلال آيات القرآن الكريم، التربية العقائدية للمجاهدين، وذلك للأمور التالية:

١. إضافة مبحث في موضوع العقائد يخص المجاهدين، وهي فئة مهمة لها أثرها في مجتمعات المسلمين.
٢. بيان شمولية الوحي الإلهي في التربية والتوجيه، وأنه المصدر الأساس في ذلك.
٣. جمع ما تفرق من أقوال السلف عن مسائل العقيدة، والمتعلقة بالمجاهدين، ودراستها.
٤. ربط المجاهدين بكتاب الله تعالى، تربية وتوجيهاً وفي أعظم مسائل العلم، وهي المسائل الاعتقادية.
٥. توضيح الوسائل التربوية التي ذكرت في القرآن الكريم في التربية العقائدية للمجاهدين.
٦. اطلاعي المباشر لواقع القطاع العسكري من خلال تدريسي في كلياتهم العسكرية، ومشاركتي في برامجهم الدينية لأكثر من خمس وعشرين عام، بالحاجة الماسة أن يتدبروا كلام الرحمن الرحيم.

*** منهجي في إعداد البحث:**

من توفيق الله لي أن قدمت عدداً من الدراسات العلمية، والمتعلقة بالجانب العسكري، فمن ذلك:

١) المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم.
٢) مسائل الاعتقاد من خلال آيات الجهاد.
٣) العقيدة العسكرية عند ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين.(عرض

ونقد).

٤) المؤثرات الفكرية على العقيدة العسكرية عند ابن تومرت..(عرض ونقد)

٥) الحسبة في وزارة الدفاع من خلال القرارات الإدارية.

٦) تدبر القرآن الكريم وأثره على العسكريين.

وبعد الإطلاع على بعض الدراسات المتعلقة بالجانب العسكري(١)، سرت في بحث الموضوع على المنهج التالي:

أولاً: جمعت الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن الجهاد في سبيل الله، وما قص الله تعالى علينا من جهاد الأمم السابقة، وكذلك ما وقع للرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم.

ثانياً: قمت بدراسة تفسير هذه الآيات، من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، وكذلك كتب العقائد، وحاولت أن استنبط التوجيهات القرآنية التي وردت في الآية ومتعلقة بالجهاد والمجاهدين.

ثالثاً: تم الاستفادة من كتب آيات الأحكام في الاستدلال على بعض التوجيهات من الآيات القرآنية.

رابعاً: تفريع المسائل العلمية والمستخرجة من الآيات القرآنية، ودراسة ما يتعلق بها من أحكام.

خامساً: ليس المراد من البحث مناقشة الخلافات العقائدية التي

---

(١) انظر: العسكرية الإسلامية–الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفان. والعقيدة العسكرية–اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ. والعسكرية العربية الإسلامية–اللواء الركن محمود شيت خطاب. وتطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية–اللواء الطيار الركن–عبدالرحمن بن حسن الشهري.. ومعجم المصطلحات العسكرية– (عقيدة).

وقعت بين الفرق، وإنما إبراز المنهج القرآني في تربية المجاهدين، ولـــذا لا أتناول الخلافات الناشئة بين الفرق.

سادساً: بالنسبة للأحاديث النبوية، فقد سلكت منهج الاســتدلال بالأحاديث الصحيحة فقط.

*** خطة البحث:**

وقد سلكت في كتابة البحث منهج التتبع والاستقراء لما ذكـــره أهـــل العلم، سواء في كتب التفاسير أو كتب العقائد. وقد قســمت البحـــث إلى ما يلي:

المقدمة: بينت فيها منهج وخطة كتابة البحث.

التمهيد: بينت فيها أبرز المصطلحات الواردة في البحث، وهي:

١. مصطلح التربية.
٢. مصطلح العقيدة.
٣. مصطلح العسكري..

المبحث الأول: وسائل التربية العقائدية للمجاهـــدين في القـــرآن الكريم، والتي تتمثل بما يلي:

١. التربية بقصص الأمم السابقة
٢. ضرب الأمثلة بقدوات سابقة
٣. عدم الاعتماد على الماديات والركون إليها
٤. التربية بالموعظة
٥. تصحيح المفاهيم
٦. الأمر بالصبر

المبحث الثاني: التوجيهات العقائدية للمجاهدين، والتي تتمثل بما يلي:

١. القصد من الجهاد إعلان كلمة الله
٢. التوكل والاعتماد على الله
٣. التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ:
٤. التحذير من إحباط العمل
٥. مداومة ذكر الله:
٦. التوبة وتكفير السيئات
٧. ميزان التفاضل عند الله
٨. الخوف والخشية من الله تعالى
٩. الاستعانة والنصر لا يكون إلا بالله

وختمت البحث بأهم النتائج وفهرس للموضوعات والمراجع.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وموافقة لسنة نبيه ﷺ، وأن يكتب لنا الخير،إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

التمهيد

يرد في البحث بعض المصطلحات التي ينبغي التعريف بها، وبيان معناها الشرعي، ومن هذه المصلحات ما يلي:

* أولاً: مصطلح التربية:

إن مصطلح التربية من المصطلحات الوارد أصلها في القرآن والسنة، وهي مما يستعملها العرب، وبالرجوع إلى أصل الكلمة فإنها تعود إلى أصول لغوية ثلاث، وهي:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ سورة الروم: ٣٩ .

الأصل الثاني: ربى يربى، على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع، وفيه معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ سورة الشعراء: ١٨، قال الأزهري: (إن فرعون لما قال لموسى: ألم نربك فينا وليدا، فاعتد عليه بأن رباه وليدا منذ ولد إلى أن كبر)[1].

وقد أمر الله موسى ﷺ أن يخاطبه بقول لين، كما قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ تفسير طه: ٤٤ وقال البيضاوي: (فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة، حذراً أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما، أو احتراماً لما له من حق التربية عليك)[2].

---

(١) تفسير الوسيط–الواحدي–٣/٣٥٢.

(٢) تفسير أنوار التتريل وأسرار التأويل–البيضاوي–٤/٢٨.

الأصل الثالث: رب يرب، بوزن مد يمد، بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، ومن هذا المعنى قول حسان بن ثابت:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا ** يوم الخروج بساحة القصر

من درة بيضاء صافية ** مما تربب حائر البحر[١]

يعني الدرة التي يربيها الصدف في قعر الماء. والحائر: مجتمع الماء، والربيبة: واحدة الربائب من الغنم التي يربيها الناس في البيوت لألبانها[٢].

ومن خلال هذه المفاهيم اللغوية للتربية، فقد اشتق بعض الباحثين تعريفًا للتربية، بأنه: (الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا) [٣].

وقال الراغب الأصفهاني: (الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربّاه ورَبَّبَهُ) [٤].

فالتربية عملية هادفة، وفن مرن متطور، تحكمه قواعد وقوانين، وهي ترمي إلى تكوين العادات الحسنة بالاستفادة من الغرائز والميول في تحقيق هذا الهدف عن طريق الإرشاد والتدريب.

وتعنى التربية بالمحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها، وتنمية مواهبه واستعداداته، ثم توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب جميعًا إلى ما يحقق

(١) لسان العرب-ابن لمنظور-١/٤٠٢.

(٢) لسان العرب-ابن لمنظور-١/٤٠٢.

(٣) تفسير أنوار التتريل وأسرار التأويل-البيضاوي-١/٢٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن-الراغب الأصفهاني -٣٣٦. وانظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع-عبدالرحمن النحلاوي-١٦. و مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي (دراسة نقدية)-خالد الحازمي-٢٩٨. والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها-عاطف السيد-١٢.

صلاحها وكمالها اللائق بها[1].

فمن هذا المفهوم للتربية فإن البحث عن الآيات القرآنية، وبيان دلالاتها التربوية في تربية المجاهدين وما تتضمنها من توجيهات هي من أبرز أهداف إجراء الدراسة.

ثانياً: مصطلح العسكريين:

جاء ذكر الجنود أو الجند كثيراً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الأحزاب: ٩ ، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ الصافات: ١٧٣، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾الملك: ٢٠. كما جاء ذكر المجاهد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ النساء: ٩٥، وكقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد: ٣١.

وأما مصطلح (العسكر) فلم يرد في القرآن الكريم، ولكنه ليس من المصطلحات الحديثة إذ ورد في سيرة الرسول ﷺ وغزواته، وجاء ذكر مصطلح (العسكر) في أقوال الصحابة والتابعين وأئمة السل، كما جاء في شعر العرب.

وقبل أن أنقل النصوص الواردة في ذلك أبين معنى مصطلح العسكر في لغة العرب، إذ يقول ابن المنظور في لسان العرب: وقال ابن الأعرابي:

---

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها–عاطف السيد–١٢.

(العسكر الكثير من كل شيء. يقال: عسكر من رجال وخيل وكلاب). وقال الأزهري: (عسكر الرجل، جماعة ماله ونعمه؛ وأنشد:

هل لك في أجر عظيم تؤجره ❊❊ تعين مسكينا قليـــلا عسكره

عشر شياه سمعـــه وبصـــره ❊❊ قد حدث النفس بمصر يحضره

وعسكر بالمكان: تجمع. والعسكر: مجتمع الجـــيش... والعســـكر: الجيش؛ وعسكر الرجل، فهو معسكر، والموضع معسكر، بفتح الكاف[1].

فيطلق على الجيش برجاله وأدواته وسلاحه عسكر، كما يطلق على المكان والموضع معسكر. وهذا ما ذكره أهل اللغة[2].

وأما استعمالات الكلمة في السنة النبوية وأقوال السلف، فمنها ما يلي:

١) في حادثة مسير الرسول ﷺ لفتح مكة، قال أهل السير: فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، فارتحلوا، فساروا حتى نزلوا مرا، قال: وجاء أبو سفيان حتى نزل مرا ليلا، قال: فرأى **العسكر** والنيران، فقـــال: (مـــن هؤلاء) ؟ فقيل: (هذه تميم، محلت بلادها فانتجعت بلادكم)، قال: (والله، لهؤلاء أكثر من أهل منى) [3].

٢) وفي السنة التاسعة للهجرة وفي أحداث غزوة تبوك، ونفاد الماء عن الجيش قال ابن عباس رضي الله عنهما: (.....فدعا رســـول الله ﷺ بنطع فبسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التمر، والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلـــك

(١) لسان العرب-ابن المنظور-٤/ ٥٦٨.

(٢) انظر: تهذيب اللغة-١٩٤/٣. والعين-٨٦/٦. و فقه اللغة وسر العربية-الثعـــالبي-٢٠٠. والفروق اللغوية- العسكري-٢٧٨.

(٣) مُصنف ابن أبي شيبة-٤٨٣/١٤.

شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال لهم: [خذوا في أوعيتكم]، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في **العسكر** وعاء إلا ملئوه، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله ﷺ: " **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة**")[1].

وأما استعمال مصطلح **العسكر** في أقوال السلف من الصحابة والتابعين، فمن ذلك ما يلي:

٣) كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين افتتح العراق: (أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم؛ فإذا أتاك كتابي هذا، فانظر ما أجلب الناس به عليك إلى **العسكر** من أموال، واقسمه بين من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها، ليكون ذلك في أعطيات المسلمين؛ فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء) [2].

١) كان بين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وبين قومه من الروم عهد، فخرج معاوية يسير في أرضهم كي ينفضوا فيغير عليهم، فإذا رجل ينادي في ناحية **العسكر**: (وفاء لا غدر وفاء لا غدر، فإذا هو عمرو بن عنبسة) [3].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل-١٤٠/١٧- وقال محقق الكتاب: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تاريخ بغداد وذيوله -٣٧/١.

(٣) الطبقات الكبرى –ابن سعد-٢٧٣/٥.

٢) ومن التنظيمات الإدارية التي أحدثها الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، في تنظيم الجيوش، أنه قال: (الرسول، والبريد، والوكيل، يبعثون من العسكر يجرى لهم سهامهم مع المسلمين) [(١)].

٣) فمن خلال ما سبق يتبين أن مصطلح (**العسكر**) من المصطلحات المستعملة في السنة النبوية، وفي أشعار العرب، وهي بمعنى الجيش وأدواته، وبمعنى مكان تجمع الجيش، فهي مرادفة لكلمة الجند[(٢)].

* ثالثاً: مصطلح العقيدة:

وأما المصطلح الثالث من مكونات عنوان البحث فهو مصطلح (العقيدة)، ومعنى هذه الكلمة في لغة العرب وفي العرف الشرعي، فكما قال ابن فارس: (العين، والقاف، والدال، أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها. وعقد الحبل، والبيع، والعهد، يعقده: شده) [(٣)].

واعتقد الشيء: اشتد، وصلب، يقال: اعتقد الإخاء بينهما: صدق، وثبت، وعقد فلان الأمر: صدقه، وعقد عليه قلبه، وضميره.

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده[(٤)].

فمادة "عقد" في اللغة تدور حول الثبوت على الشيء، والالتزام به، والتأكد منه والاستيثاق به. ومما يستشهد على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَا

(١) مصنف ابن أبي شيبة -٦/٥١٢.
(٢) كتاب العين-الخليل بن أحمد-٦/٨٦.
(٣) القاموس المحيط-الفيروز أبادي-٣٨٣. وانظر مادة عقد: لسان العرب-٣/ ٢٩٦-٣٠٠ و الصحاح-٢/ ٥١٠ وأساس البلاغة- ٢/ ١٣١.
(٤) المعجم الوسيط-٢/٦١٤.

يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ المائدة: ٨٩ والتي تعني الجزم والتأكيد[١].

وأما في **الاصطلاح** فهي: العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية.

ويراد بها البَصِيرَةُ وهي عَقِيدَةُ القَلْب، قَالَ اللَّيْث: البَصِيرَةُ: أسم لما اعتُقِدَ فِي القلْب مِن الدِّين وتحقيقِ الأَمرِ[٢].

وقد أخرج لنا أئمة الإسلام أصول العقيدة الإسلامية، وبيان أدلتها التفصيلية، والرد على أهل البدع والشبهات، وبيان (ربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والإتباع لرسوله ﷺ)[٣].

وقد بلغ أئمة السلف هذا العلم، وأظهروه في كتب تتضمن علوم العقيدة، وسميت أَسماء أُخرى عند أَهل السُّنَّة والجماعة؛ تُرادِفُها، وتَدلُّ عليها، منها: (التوحيد)، و(السُّنَة)، و(أُصُول الدَين)، و(الفقه الأكبر)، و(الشريعة)، و(الإِيمان). هذه أَشهر إِطلاقات أَهل السُّنَّة على علم العقيدة.

* * *

(١) انظر: تفسير الطبري- ١٠/ ٥٣٠.

(٢) تاج العروس- ١٠/ ١٩٨. وانظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية-البريكان-٩.

(٣) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة-عبدالله الأثري-٢٤.

المبحث الأول

وسائل التربية العقائدية للمجاهدين في القرآن الكريم

بتدبر آيات القرآن الكريم، والوقوف على تأويلها من كتب السلف رحمهم الله، نجد أن القرآن الكريم قد اتخذ وسائل من أجل تربية المجاهدين تربية عقائدية، وأبرز هذه الوسائل[١] هي:

١. التربية بقصص الأمم السابقة:

إن الإسلام يدرك الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تـــأثير ساحر على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.

وفي القرآن الكريم نجد استخدام كل أنواع القصة: القصة التاريخية الواقعية، المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. والقصة الواقعية الـــتي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الـــواقعيين، أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج، والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور[٢].

ومن نماذج القصص في القرآن الكريم واستخداماتها في التربية العقائدية، ما أخبر الله عن موسى ﷺ وقومه، وما وعدهم بنصر الله، إذا دخلوا الأرض المقدسة، فكان جواب القوم كما أخبر الله عنهم، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾المائدة: ٢٤. فعاقبهم الله بالتيه، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ

(١) إن ترتيب الوسائل التربوية هو بحسب اجتهاد الباحث، وليس بحسب أهمية الوسيلة.

(٢) منهج التربية الإسلامية-محمد قطب-١٩٣/١-دار الشروق-الطبعة السادسة-١٤٠٢هــ

عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ المائدة: ٢٦.

لقد كان لهذه القصة من المؤثرات للانقياد لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، فلما كان يوم بدر، قال المقداد رضي الله عنه: (يا رسول الله: إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ولكن امض ونحن معك، فكأنه سري عن رسول الله ﷺ[1].

وقد ذكر الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٢، وبعد أن قص الله في كتابه عن قصة نبي الله موسى مع قومه، ابتداء بمطالبهم بإرسال نبي يقاتلون معه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٤٦ إلى نهاية القصة وتملك طالوت الملك كما قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ البقرة: ٢٥١.

قال الطبري: (هذه الآيات التي اقتص الله فيها أمر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وأمر الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الذين سألوا نبيهم أن يبعث لهم طالوت ملكا...ونصرتي أصحاب طالوت، مع قلة عددهم، وضعف شوكتهم على جالوت وجنوده، مع كثرة عددهم، وشدة بطشهم، حججي على من جحد نعمتي، وخالف

(١) سيرة ابن هشام-٢/٢٥٣-تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد-توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية-١٣٥٦هـ

أمري، وكفر برسولي.. بما اقتصصت عليك من الأنبـاء الخفيـة، الـتي يعلمون أنها من عندي) [(١)].

ولأهمية التربية بالقصة فقد حرص السلف تلقين أبناء المسلمين سيرة الرسول ﷺ فقد قال إسماعيل بن محمد ابن سعد: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ، ويعدها علينا وسراياه، ويقول: [يا بني هذه مآثر آبـائكم فلا تضيعوا ذكرها]). وعلى ذات النهج السليم فقد قال علي بن الحسين: كنا نعلم مغازي النبي ﷺ، وسراياه كما نعلم السورة من القرآن[(٢)].

٢.ضرب الأمثلة بقدوات سابقة:

القدوة في التربية هي من أفعل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح.

من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منـهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حـبراً على ورق، يظل معلقاً في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض ما لم يتحرك إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشـاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه. عندئذ فقط يتحول المنـهج إلى حقيقـة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ[(٣)].

فمن هذا المفهوم للقدوة ربى القرآن الكريم الجنود الأوائـل علـى ضرب أمثلة لقدوات نازلة الحروب والجهاد، فمن ذلك قولـه تعـالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾آل عمران: ١٤٦، فبعد أن عذلهم الله عز

(١) تفسير الطبري-٥/٣٧٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي-الخطيب البغدادي-٢/١٩٥.

(٣) منهج التربية الإسلامية-محمد قطب-١/١٨٠.

وجل على فرارهم وتركهم القتال، أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم = من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداءَ دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم = ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صَبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم)؟[1].

ومما يلاحظ في هذا التوجيه القرآني وتربيته العقائدية (أن المثل الذي يضربه لهم هنا مثل عاماً، لا يحدد فيه نبياً ولا يحدد فيه قوماً. إنما يربطهم بموكب الإيمان؛ ويعلمهم أدب المؤمنين؛ ويصور لهم الابتلاء كأنه الأمر المطرد في كل دعوة وفي كل دين؛ ويربطهم بأسلافهم من أتباع الأنبياء؛ ليقرر في حسهم قرابة المؤمنين للمؤمنين؛ ويقر في أخلادهم أن أمر العقيدة كله واحد)[2].

ومن الأمثلة المضروبة في القرآن الكريم تتبع نبي الله سليمان ﷺ لجيشه، واهتمامه بهم، ومتابعة حضورهم وغيابهم عن الجهاد أو الحاجة، كما قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ النمل: ٢٠. قال السعدي في تفسيره: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟... حتى فقد هذا

(١) تفسير الطبري-٦/١١٠.

(٢) في ظلال القرآن-سيد قطب-١/٤٨٢.

الطائر الصغير﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟.فحينئذ تغيظ عليه وتوعده فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون القتل، ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته...)[1].

إن تتبع سليمان ﷺ وسؤاله عن الهدد، يظهر لنا حرص القائد على أفراد الجيش، وأهمية حضور كل قوة من القوات المختلفة، ومن مفهوم الآية الكريمة (وسؤال الملك عنه، أنه غائب بغير إذن، وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون فوضى. فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال لم يعد سرا. وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند. ومن ثم نجد سليمان ﷺ الملك الحازم، يتهدد الجندي الغائب المخالف: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾.. ولكن سليمان ﷺ، ليس ملكا جبارا في الأرض، إنما هو نبي. وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه)[2].

---

(١) تفسير السعدي -٦٠٣.

(٢) في ظلال القرآن-سيد قطب-٥/٢٦٣٨.

٣.عدم الاعتماد على الماديات والركون إليها:

من وسائل التربية العقائدية للمجاهدين في القرآن الكريم، من أعظم ما يعين العسكري على أداء رسالته سواء في ميادين القتال أو التدريب والتعليم أن يربى على أن الوسائل المادية إنما هي أسباب لا يعتمد عليها، كما أنه لا يفرط في إعدادها.

وأن يكون التعامل مع الأسباب ضمن الضوابط الشرعية الثلاثة، وهي:

أحدها: أن لا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعا أو قدرا.

ثانيها: أن لا يعتمد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته، ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيرها كيف يشاء، لئلا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده[1].

ومن أمثلة هذه الوسيلة للتربية العقائدية قول الله تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾التوبة: ٢٥.

إن مدلول هذه الآية أن الله (يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله،

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد-السعدي -٤٣.

وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعَـــددهم ولا بعُـــددهم ونبههم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مـــدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ. ثم أنزل الله نصره وتأييده علـــى رســـوله وعلى المؤمنين الذين معه، ليعلمهم أن النصر من عنـــده تعـــالى وحـــده وبإمداده وإن قل الجمع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين[1].

٤.التربية بالموعظة:

التربية بالموعظة هي من وسائل التربية العقائديـــة للمجاهـــدين في القرآن الكريم، والعسكري هو من أحوج الناس إلى الموعظة والتذكير، فإن كان في ساحات القتال فإن الموت أمامه، وإن كان في مـــواطن الأمـــن والحراسة فأعراض وأموال المسلمين أمانة مسئول عنها.

والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى الـــنفس مباشـــرة عـــن طريـــق الوجدان. وتهزه هزاً. وتثير كوامنه. لحظة من الوقت، فالموعظة ضـــرورة لازمة، ففي النفس دوافع فطرية في حاجة دائمة للتوجيه والتهذيب. ولا بد في هذا من الموعظة.

ونجد في كثير من الآيات القرآنية والمتضمنة موضوع الجهاد، تذكر أصلاً للموعظة والذكرى، أو تختم الآيات موعظة وذكرى، ومن أمثلة وسائل التربية بالموعظة للمجاهدين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ آل عمران: ١٥٥.

---

(١) تفسير ابن كثير-٤/٦٦.

قال المفسرون عن هذه الآية: إنّ الذين ولّوا عن المشركين، من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد وانهزموا عنهم. ولقد عفا الله عنهم"، يقول: ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه (إن الله غفور)، يعني به: مغطّ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله ﷺ، بعفوه عن عقوبته إياهم عليها (حليم)، يعني أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة[1].

وقد جاءت الموعظة الربانية للمجاهدين، وذلك في أحداث غزوة أحد، حيث كان لهم التمكين والنصر لالتزامهم أمر رسول الله ﷺ، فعن البراء رضي الله عنه، قال: (لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله، وقال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلي النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلا)[2].

لقد جاءت آيات القرآن الكريم واعظة ومذكرة لهم، ومحذرة الأمة من معصية الرسول ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ

(١) تفسير الطبري-٦/١٧٢.

(٢) صحيح البخاري-٥/ ٩٤-برقم (٤٠٤٣).

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٢.

قال الطبري: (منكم من يريد الدنيا، الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله ﷺ في الشعب من أحد لخيل المشركين، ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين ="ومنكم من يريد الآخرة"، يعني بذلك: الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله ﷺ، واتبعوا أمره، محافظة على عهد رسول الله ﷺ، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة)[1].

٥.تصحيح المفاهيم:

من المقرر في علوم التربية أن المفاهيم من أبرز ما يحدد بها قبول أو رفض المتربي، لهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يحرصون في دعوتهم على تصحيح المفاهيم، فيبقون ما كان موافقاً للوحي، وتعديل ما هو مخالف له.

لقد كان تصحيح المفاهيم من الوسائل التربية التي ذكرها القرآن الكريم في التربية المجاهدين عقائدياً، وبتدبر الآيات نجدها تؤكد على هذا المعنى في آيات كثيرة، ومن أمثلة هذه الوسيلة قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٢.

إن سلعة الله غالية، وإن سلعته سبحانه وتعالى الجنة، ولما كان مسعى المؤمن أن يكون من أهل الجنة، أوضحت الآية الكريمة تربية للمجاهدين، أن لا يتحقق دخول الجنة حتى يظهر المجاهد في سبيل الله، وكذلك الصابر على مشاق الجهاد[2].

---

(١) تفسير الطبري-٧/٢٩٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري-٦/٩١. وتفسير روح المعاني-الألوسي-٤/٧٠.

ومن أمثلة تصحيح المفاهيم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ١٥٤. الشهادة المقصودة في هذه الآية هي بسبب الجهاد، فلما كان الجهاد مؤديا للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها.

ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون(١).

وتأكيداً لتصحيح مترلة الشهيد عند الله قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠.

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، ومما ورد في السنة عن أرواح الشهداء أن رسول الله ﷺ قال: (إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة)(٢).

(١) تفسير السعدي-٥٨.

(٢) سنن الترمذي-كتاب فضائل الجهاد-باب ما جاء في ثواب الشهيد-رقم(١٥٦٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح

ومن وسائل تصحيح المفهوم أن ترك الجهاد يعني استدامة الحياة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزࣰّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةࣰ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرࣱ ﴾ آل عمران: ١٥٦ .

إن الآية الكريمة جاءت لتصحيح مفهوم نشره أهل النفاق في المجتمع المسلم بعد غزوة أحد، (ذكر فيها ما يدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لمن يريد الخروج إلى الجهاد لو لم تخرجوا لما متم وما قتلتم فإن الله هو المحيي والمميت، فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد، ومن قدر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد، وهو المراد من قوله: والله يحيي ويميت وأيضا الذي قتل في الجهاد، لو أنه ما خرج إلى الجهاد لكان يموت لا محالة، فإذا كان لا بد من الموت فلأن يقتل في الجهاد حتى يستوجب الثواب العظيم، كان ذلك خيرا له من أن يموت من غير فائدة، وهو المراد من قوله: ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا هو المقصود من الكلام)[1].

٦- الأمر بالصبر:

عرف العلماء الصبر، بأنه (حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش)[2]. ويعتبر الصبر من آكد الوسائل التربوية للمجاهدين،وجاء الأمر به في آيات

(١) التفسير الكبير-الرازي-٩/٣٩٩.

(٢) مدارج السالكين-ابن القيم-٢/٤٢٦-تحقيق عبدالعزيز الجليل-دار طيبة-الرياض-الطبعة الأولى-١٤٢٣هـ

كثيرة، فلا غنى عن الصبر، وفي حق المجاهدين والذين يعدون أنفسهم للجهاد أشد وآكد؛ وذلك لبعد المشقة وطولها[1].

ومن نماذج وسائل التربية العقائدية للمجاهدين في القرآن الكريم، في وسيلة الصبر أن الله أمر المجاهدين أثناء ملاقاة العدو بالصبر فقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦.

ففي هذه الآية توجيه رباني للمجاهدين بأن (أطيعوا، أيها المؤمنون، ربَّكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء، ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتجبنوا فتذهب قوتكم وبأسكم،فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل. واصبروا مع نبيّ الله ﷺ عند لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه،اصبروا فإني معكم[2].

وقد ذكّر الله أمة محمد ﷺ بأن الأمم السابقة استحقت النصر مع الصبر، كما قال تعالى: عن جيش طالوت، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة: ٢٤٩، فمن كان الله معه فهو منتصر، فمعية الله (بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقعت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم. ولهذا لما برزوا لجالوت وجنوده (قالوا) جميعهم ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: قو قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين) [3].

---

(١) التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة–عبدالعزيز الجليل–١٦٦–الطبعة الأولى١٤٢٤هـ
(٢) تفسير الطبري–٢١٤/١١.
(٣) تفسير السعدي = ١٠٨.

وصح الحديث عن نبينا ﷺ قوله لابن عباس رضي الله عنهما: (يـــا ابن عباس، أحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك، وتعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك، أو أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك، وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فإن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا) [1].

وجاء التوجيه الرباني للمجاهدين الأوائل بملازمة الصبر، كما قـــال تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾آل عمران: ٢٠٠.

الصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة. إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواك مفروش بالدماء والأشلاء وبالإيذاء والابتلاء. الصـــبر على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات الـــنفس ورغائبـــها، وأطماعهـــا ومطامحها، وضعفها ونقصها، وعجلتها وملالها من قريب! والصبر علـــى شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم، وانحـــراف طباعهم، وأثرتهم، وغرورهم، والتوائهم، واستعجالهم للثمار! والصبر على تنفج الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وغلبة الشهوة، وتصـــعير الغرور والخيلاء! والصبر على قلة الناصر، وضعف المعين، وطول الطريق

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد-٢١٤-برقم (٦٣٦). وأخرجه أحمد في المسند-١٩/٥- برقم (٢٨٠٣) وقال الطبري: حديث صحيح. انظر: تفسير القـــرطبي-٣٩٨/٦. وقـــال الألبـــاني: حديث صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة -٤٩٧/٥.

ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق! والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله، وما تثيره في النفس من انفعالات متنوعة. من الألم والغيظ، والحنق، والضيق، وضعف الثقة أحياناً في الخير، وقلة الرجاء أحياناً في الفطرة البشرية؛ والملل والسأم واليأس أحياناً والقنوط! والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر، وبدون خيلاء وبدون اندفاع إلى الانتقام، وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء! والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله، واستسلام لقدره، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع [1].

٧- السمع والطاعة في المعروف:

ومن وسائل التربية العقائدية للمجاهدين، الحث على اجتماع الكلمة، وتوحيد الصف، والسمع والطاعة لولاة الأمر، والتأكيد على نبذ الفرقة والاختلاف.

وقد جاءت آيات القرآن الكريم مؤكدة هذه الوسائل الجليلة، كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾الأنفال: ٤٦ .

ففي هذه الآية التوجيه الرباني للمؤمنين، بـ(أن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك، فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم. [وتذهب ريحكم] أي: قوتكم ووحدتكم، وما كنتم فيه من الإقبال.

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم، في باب الشجاعة والائتمار بما

(١) في ظلال القرآن–سيد قطب–١/٥٤٥.

أمرهم الله ورسوله به وامتثال ما أرشدهم إليه، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم، والفرس، والترك، والصقالبة، والبربر، والحبوش، وأصناف السودان، والقبط، وطوائف بني آدم.

قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب)[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾النساء: ٥٩.

إن علماء السلف رحمهم الله تعالى قد أكدوا على السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ويذكرون هذا التأكيد موصلاً في أبواب الجهاد، مستدلين بما ثبت عن عُبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايَعَنا، فكان فيما أخذ علينا: " أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»[2]. ومن تمام فقه الإمام مالك أنه أورد

(١) تفسير ابن كثير-٩٨/٧.

(٢) صحيح البخاري-كتاب الفتن- باب قول النبي ﷺ: « سترون بعدي- برقم(٦٥٣٢).

هذا الحديث في كتاب الجهاد[1].

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون،مع أن–والله–إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر[2].

ويجمع السلف رحمهم الله على وجوب الخروج مع الولاة في الجهاد والسمع والطاعة لهم، قال ابن تيمية (من أصول أهل السنة والجماعة، الغزو مع كل بر وفاجر؛ فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام؛ وإن لم يمكن إقامة جميعها.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة»[3] إلى غير ذلك من النصوص التي أنفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم[4].

وهذا ما قرره علماء الأمة بأن الجهاد ماضيا مع كل إمام براً كان أم فاجرا، والجهاد ماضٍ منذ بعث اللّه محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة

---

(١) المنتقى شرح الموطأ–الباجي– ١٥٩/٣–مطبعة السعادة–مصر–ط:١–١٣٣٢هـ

(٢) جامع العلوم والحكم–ابن رجب الحنبلي–شرح حديث الثامن والعشرون–٢٢٥.

(٣) صحيح مسلم–كتاب الإمارة–باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة–برقم (٣٥٤٤).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية– ٥٠١/٢٨.

الدجالَ؛ لا يبطله جور جائرٍ ولا عدل عادلٍ. و وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين؛ برهم وفاجرهم مما لم يأمروا بمعصية اللّه [١].

٨- الحث على الثبات حتى الممات:

إن حفظ الثغور وحماية الأنفس والأعراض، والصبر على منازلة الأعداء وتحمل المشاق في الحروب والاستعداد لها، يستلزم لهذه الأمور وغيرها إيماناً صادقاً، وأنفساً تأبى التنازل عن مبادئها، لهذا جاء تحريم الخيانة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾الأنفال: ٢٧ في سياق آيات الجهاد.

لذا كان من الوسائل التربوية للمجاهدين في القرآن الكريم، الثبات على المبدأ، وعدم الانهزامية من أمام الأعداء، وقد حذر فقهاء الإسلام من مشاركة من يكون سبباً في انهزامية معنويات الجيش، وعدم ثباتهم، ومن أمثلة هؤلاء (المخذل والمرجف) فقال العلماء عن عدم مشاركتهما: (ويمنع المخذل والمرجف) والمخذل: هو الذي يفند الناس عن الغزو، ويزهدهم في الخروج إليه والقتال، ومثل من يقول: الحر أو البرد شديد والمشقة شديدة ولا يؤمن هزيمة هذا الجيش، ونحو هذا، والمرجف هو: الذي يقول قد هلكت سرية المسلمين، وماهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار، والكفار لهم قوة ومدد وصبر ولا يثبت لهم أحد) [٢].

وكان التولي عن العدو والهروب يوم الزحف في مصاف الشرك بالله، كما ثبت في الحديث (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية- ١/٣٢-٣٣. وانظر: لمعة الاعتقاد -١/٣٢. وشرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العز الحنفي. والموافقات-الشاطبي- ١/٦.

(٢) الشرح الكبير على متن المقنع –ابن قدامة- ١٠/ ٤٢٥

هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكـــل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصــنات المؤمنـــات الغافلات)[١] قال النووي: وأما عده ﷺ التولي يوم الزحف من الكبـــائر فدلِيل صريح لمذهب العلماء كافة في كونه كبِيرة[٢].

وقد حرم الله في كتابه الانهزامية مـــن مقابلـــة الأعـــداء، فقـــال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾ سورة الأنفال: ١٥.

إن التولي يوم الزحف على إطلاقه يستحق هذا التشديد لضـــخامة آثاره الحركية من ناحية؛ ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحيـــة، إن قلـــب المؤمن ينبغي أن يكون راسخا ثابتا لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، وإذا جاز أن تنـــال هـــذا القلب هزة-وهو يواجه الخطر- فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هزيمة وفرارا. والآجال بيد الله، فما يجوز أن يولي المؤمن خوفا على الحياة. وليس في هذا تكليف للنفس فوق طاقتها. فالمؤمن إنسان يواجه عـــدوه إنسانا، فهما من هذه الناحية يقفان على أرض واحدة. ثم يمتاز المؤمن بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها. ثم إنه إلى الله إن كان حياً، وإلى الله إن كتبت له الشهادة. فهو في كل حالة أقوى من خصـــمه الـــذي يواجهه وهو يشاق الله ورسوله[٣].

وجاء الثناء الإلهي لمن وفاء بما عاهد عليه الله، بقوله تعـــالى:﴿مِّنَ

(١) صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب رمي المحصنات-رقم الحديث(٦٣٥١).
(٢) شرح صحيح مسلم-النووي-كتاب الإيمان-بيان الكبائر وأحكامها.
(٣) في ظلال القرآن-سيد قطب- ٣/١٤٨٩.

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾الأحزاب: ٢٣، دلت هذه الآية على أن من المؤمنين رجالاً أدركوا أمنيتهم، وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا حتى قتلوا ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فإنهم مستمرّون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال لعدوّه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل، وإدراك فضل الشهادة، وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم، بل ثبتوا عليه ثبوتاً مستمراً[1].

* * *

(١) فتح القدير-الشوكاني- ٢٧٢/٤-دار المعرفة-بيروت-لبنان

المبحث الثاني

التوجيهات العقائدية للمجاهدين

يعتبر التوحيد هو أساس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٦٥.

ومن أنواع التوحيد توحيد العبادة، الذي هو أصل دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ النحل: ٣٦، ولهذا رفض الكفار الإقرار به، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ الصافات: ٣٥.

وثبت في الحديث قول النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[1].

وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب: (اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح–عليه السلام– أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودٍّ، وسواع، ويغوث، ونسرٍ. وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين)[2].

---

(١) صحيح البخاري–كتاب الإيمان –باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة– رقم الحديث (٢٤).

(٢) كشف الشبهات –محمد بن عبدالوهاب–١– المكتب الإسلامي–دمشق–ط:٣–
=

والعسكري المسلم كغيره من المسلمين مطالب بالإقرار به، والحذر من مخالفته، وقد تكاثرت التوجيهات الربانية به للمجاهدين، وفي هذا البحث سوف أبين أبرز التوجيهات العقائدية في مسائل توحيد العبادة والمتعلقة بالمجاهدين.

*** أولاً: القصد من الجهاد إعلان كلمة الله:**

إن مقاصد المكلفين لها مترلة عظيمة عند رب العالمين، بل هي محل نظر الخالق عز وجل، وثبت في الحديث قول النبي ﷺ: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**)[١]. وقال ابن تيمية: أصل العمل الصالح هو إخلاص العبد للّه في نيته، فإنه سبحانه إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الخلق لعبادته، وهي دعوة الرسل لكافة بريته، كما ذكر ذلك في كتابه على ألسنة رسله بأوضح دلالته[٢].

فمن أوائل التربية العقائدية للمجاهدين أن يخلصوا في قتالهم وفي سائر أعمالهم، وقد جاء التوجيه الإلهي بقوله ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: ١٩٣.

ففي هذه الآية يوجه الخالق سبحانه المجاهدين أن مقصد الجهاد هو أن يقاتلوا المشركين: حتى لا تَكُونَ فتنةٌ يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان

=
١٣٩٨هـ

(١) صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي-باب بدء الوحي-رقم (١)

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية-٢٤٤/١٨.

الآلهة والأنداد، وتكون العبـــادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان[1].

ومن معاني تحقيق هذا المقصد قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ٥.

هذه الآية أوضحت للمجاهدين أن القتال كان بسبب الكفر، فإذا زال السبب ينهى عن قتـــالهم، فقولـــه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ تابوا عن الشرك الذي هو سبب القتل، وحققوا التوبة بفعل ما هو من أعظم أركان الإسلام، وهو إقامة الصلاة، وهذا الركن اكتفى به عن ذكر ما يتعلق بالأبدان من العبادات، لكونه رأسها، واكتفى بالركن الآخر المالي، وهو إيتاء الزكاة عن كل ما يتعلق بالأموال من العبـــادات، لأنه أعظمها ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ اتركوهم وشأنهم، فـــلا تأســـروهم، ولا تحصروهم، ولا تقتلوهم[2].

ولتربية المجاهدين على تصحيح المقصد قال: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ النساء: ١٠٤. فقوله: ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ تعليل للنهي المذكور قبله، ليس ما تجدونه من ألم الجراح ومزاولة القتال مختصاً بكم، بل هو أمر مشترك بينكم وبينهم، فليسوا بأولى

---

(١) تفسير الطبري-٣/٢٩٩.

(٢) فتح القدير-الشوكاني-٢/٣٣٦.

منكم بالصبر على حر القتال، ومرارة الحرب، ومع ذلك فلكم عليهم مزية لا توجد فيهم، وهي: أنكم ترجون من الله من الأجر، وعظيم الجزاء مالا يرجونه لكفرهم وجحودهم، فأنتم أحقّ بالصبر منهم، وأولى بعدم الضعف منهم، فإن أنفسكم قوية؛ لأنها ترى الموت مغنماً، وهم يرونه مغرماً[١].

وقد كان للفقهاء اهتمام بشرح آداب الجهاد، ومن آكد الآداب، تصحيح المقصد، فعند شرح: (أغزوا باسم الله) قالوا: ليكن خروجكم لابتغاء مرضاة الله تعالى لا لطلب المال فالمجاهد يبذل نفسه وماله فإنما يربح على عمله إذا قصد به ابتغاء مرضاة الله تعالى. فأما إذا كان قصده تحصيل المال فهو كرة خاسرة[٢].

* ثانياً: التوكل على الله وبذل الأسباب:

بتدبر الآيات القرآنية والتي تتضمن معاني الجهاد في سبيل الله، نلحظ الارتباط الكبير بين موضوع الجهاد وعقيدة التوكل والاعتماد على الله، مثال ذلك ما أخبر الله عن نبيه موسى ﷺ مع قومه، بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾المائدة: ٢٣ **وبقوله:** ﴿ **إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ آل عمران: ١٦٠.

والتوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل

---

(١) فتح القدير -الشوكاني- ١/٥١٠.

(٢) المبسوط -السرخسي- ١٠/٢.

على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله[1].

وبهذه المعاني العظيمة في موضوع التوكل يتربى العسكريون، كما وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ آل عمران: ١٧٣.

قال ابن عباسٍ: (حسبنا اللَّهُ ونعمَ الوَكيل) قالَها إبراهيمُ عليه السلامُ حينَ أُلقِيَ في النار، وقالَها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2].

ولا يعني التوكل على الله ترك فعل الأسباب، بل من حقيقة التوكل فعل الأسباب، (والثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بدّ منه من الأسباب، من مَطعم ومَشرب وتحرّزٍ من

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد-السعدي-١٢٢.

(٢) صحيح البخاري-كتاب التفسير-(باب إن الناس قد جمعوا لكم)-رقم (٤٤٤٥).

عدوّ وإعدادِ الأسلحة، واستعمالِ ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة[(١)].

فحقيقة التوكل الاعتماد على الله مع بذل الأسباب، وقد أخذ بعض العلماء من قوله تعالى: في هذه الآية الكريمة: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ مريم: ٢٥ - إن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعا وأنه لا ينافي التوكل على الله. وهذا أمر كالمعلوم من الدين بالضرورة. أن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعا لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر. ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف[(٢)].

وجاء التوجيه الإلهي بالأمر للمجاهدين بفعل الأسباب في أمرين:

الأمر الأول: أثناء المقاتلة: وذلك بنزول صلاة الخوف فقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾النساء: ١٠٢.

أوضحت الآية الكريمة طريقة أداء صلاة الخوف، كما تضمنت الآية توجيهات للمجاهدين بوجوب أخذ الأسباب أثناء الصلاة والمقاتلة، فيؤدون الصلاة وهي ما أمر الله به أن يؤدوه، ولكن يجب عليهم ألا

(١) الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-٤/٢٧٩..

(٢) أضواء البيان-الشنقيطي-٤/٢٥٠.

يضعوا السلاح وأن يأخذوا الحذر من المشركين، وهو من فعل الأسباب والتوكل على الله.

الأمر الثاني: إعداد القوة: فيجب أخذ الأسباب والاستعداد لملاقاة العدو، وما يسمى في العرف العسكري بـ(ـالجاهزيه العسكرية)، ويدل على هذا الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠. أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوّة للأعداء بعد أن أكّد تقدمة التقوى، فإن الله لو شاء لهزمهم بالكلام والتّفْل في وجوههم وبحَفْنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ ولكنه أراد أن يبتَلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ[1].

* ثالثاً: التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ:

من جوانب التربية العقائدية للمجاهدين في القرآن الكريم تربيتهم على التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وهي الطاعة المطلقة كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: ١ ففي هذه الآية دليل على تربية المجاهدين للتسليم والطاعة المطلقة لله ورسوله ﷺ. ولما كانت غزوة بدر الكبرى من أوائل الغزوات التي كسب فيها المجاهدون غنائم اختلفوا في حكمها وطريقة توزيعها، فربهم الخالق عز وجل أمرهم أن يرجعوا هذا الأمر إلى الله ورسوله ﷺ وأن يسلموا له تسليما، فجاء الحكم الإلهي بتوزيع الأنفال.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن–القرطبي–٨/٣٥–دار الكتب العلمية.

ومما يلاحظ في تربية القرآن الكريم للمجاهدين في طاعة الله والرسول ﷺ ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: (أن القرآن الكريم لا يخاطب فرداً من المؤمنين بخطيئته أو ضعفه ولكنه يخاطب المؤمنين جميعاً حين تقع الهفوة من فرد أو جماعة يسيرة.

الملاحظة الثانية: أن التربية القرآنية كانت تربية علمية في ميدان الجهاد، تنزلت الآيات وقلوبهم منصهرة بحوادث المعركة وهي موت واستشهاد، ونصر وغلبة[١].

ولا تنتهي طاعة الرسول بموته ﷺ، بل تستمر طاعته واجبه بعد وفاته، ولهذا فقه السلف هذا الأمر، فقالوا: (هو أمر من الله بطاعة رسوله في حياته فيما أمر ونهى، وبعد وفاته في اتباع سنته؛ وذلك أن الله عمّ بالأمر بطاعته و لم يخصص ذلك في حال دون حال، فهو على العموم حتى يخصّ ذلك ما يجب التسليم له[٢].

ومن صور تربية القرآن للمجاهدين تربية عقائدية، أن ضرب أمثلة بأهل النفاق وما يتميزون به من عصيان لله ولرسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور: ٥٣.

فأهل النفاق (غلظوا الأيمان وشددوها و لم يكتفوا بقول الله: ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ أي بالخروج للجهاد ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ لا تقسموا فإن الطاعة معروفة منكم ومن غيركم لا تخفى فقد جرت سنة الله تعالى

(١) من هدي سورة الأنفال-محمد أمين المصري-٦٢-دار الأرقم-الكويت- (بتصرف).
(٢) تفسير الطبري-٧/١٧٤.

على أن العبد وإن اجتهد في إخفاء الطاعة لا بد وأن يظهر سبحانه مخايلها على شمائلها، وكذا المعصية فلا فائدة في إظهار ما يخالف الواقع. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة، وما تضمرونه من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد، والمراد الوعيد بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم[1].

* رابعاً: التحذير من إحباط العمل:

إن من تربية القرآن الكريم المجاهدين عقائدياً، التحذير من إحباط العمل بشرك أكبر (الردة) أو بشرك أصغر (الرياء)، وتنزيل هذا الأمر الإلهي من أجل أن يكون الجهاد خالصاً لله تعالى، فمما نزل من القرآن الكريم حول هذا التوجيه، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾البقرة: ٢١٧.

هذه الآية الكريمة تخبر المؤمنين بأن هؤلاء الكفار لا يزالون مستمرين على قتالكم، وعداوتكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك، وتهيأ لهم منكم،ثم حذّر الله سبحانه المؤمنين من الاغترار بالكفار، والدخول فيما يريدونه من ردّهم عن دينهم الذي هو الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين، فقال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ والردة: الرجوع عن الإسلام إلى الكفر، والتقييد بقوله: ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾ يفيد أن عمل من ارتد إنما يبطل إذا

(١) تفسير روح المعاني- الألوسي-١٨/٢٠٠(بتصرف)

مات على الكفر. وحبط: معناه بطل، وفسد. وفي هـذه الآيـة تهديـد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام[١].

وقد أشار الشنقيطي إلى نكتة مفيدة، عند هذه الآية، فقال: لم يبين هنا هل استطاعوا ذلك أو لا؟ ولكنه بـين في موضـع آخـر أنهـم لم يستطيعوا، وأنهم حصل لهم اليأس من رد المؤمنين عن دينهم، وهو قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ وبين في مواضع أخر أنه مظهر ديـن الإسلام على كل دين كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾التوبة: ٣٣ [٢].

لقد ربى القرآن الكريم الجنود الأوائل أن لا يكون لديهم اختـراق عقائدي—نسأل الله العصمة–وهو الانتقال من الإيمان إلى الكفر، وهـذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان (ليس لمسلم عذر في أن يخنع للعذاب والفتنة فيترك دينه ويقينه، ويرتد عن إيمانه وإسلامه، ويرجع عـن الحـق الذي ذاقه وعرفه، وهناك المجاهدة والمجالدة والصبر والثبات، حتى يـأذن الله. والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به، ويصبرون على الأذى في سبيله. فهو معوضهم خيراً: إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة. وهناك رحمتـه التي يرجوها من يؤذون في سبيله؛ لا ييئس منها مـؤمن عـامر القلـب بالإيمان[٣].

كما ربى القرآن الكريم المجاهدين التحذير من الردة، فقـد ربـاهم أيضاً التحذير من الشرك الأصغر، لأن التربية العقائديـة تعـني (تحقيـق

(١) تفسير فتح القدير–الشوكاني–١/٢١٧.

(٢) أضواء البيان–الشنقيطي–١/١٤٢.

(٣) في ظلال القرآن–سيد قطب–١/٢٢٠–٢٢٢.

التوحيد وتهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره)[1].

وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب فالرياء من باب الإشراك بالخلق والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج عن الرياء ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب[2].

ويعني بالإعجاب، هو: (السرور بالشيء مع نوع الافتخار به، ومع اعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه، وهذه الحالة تدل على استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله، فإنه لا يبعد في حكم الله أن يزيل ذلك الشيء عن ذلك الإنسان ويجعله لغيره، والإنسان متى كان متذكراً لهذا المعنى زال إعجابه بالشيء، ولذلك قال عليه السلام: [**ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**][3]. وروي عن ابن مسعود أنه قال: « الهلاك في اثنين – القنوط والعجب »[4].

ومن أمثلة التحذير من الشرك الأصغر، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد-السعدي-٢٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١٠/٢٧٧.

(٣) التفسير الكبير-الرازي-١٦/٧٤-دار إحياء التراث العربي. والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١١/٣٠١ الباب الثالث، وفي الأوسط باب الميم-١٢/١٨٨. والبيهقي في شعب الإيمان ٢:٣٠٨. وقال المنذري: بمجموع طرق فهو حديث حسن. الترغيب والترهيب-١/١٦٢. وسلسلة الأحاديث الصحيحة-الألباني-(١٨٠٢).

(٤) الكبائر –محمد بن عبدالوهاب-٣٩.

نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾التوبة: ٢٥ ذكر المفسرون أن أحد الجنود لما رأى كثرة جنود الإسلام، قال(لن نغلب اليوم بكَثْرة)[١] وحدث ما حدث من الانهزام في أول المعركة ثم النصر في نهايتها. وهذا من ذم الإعجاب[٢] بالنفس والركون إليها.

لقد أدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته[٣].

نزلت هذه الآية تذكرهم وتربيهم بإحسان الظن بربهم، وأن النصر والتأييد منه سبحانه، وتحذرهم من العجب بسبب كثرة أو غيرها، فالعجب سبب الخسارة.

* خامساً: مداومة ذكر الله:

إن من حقائق التوحيد، والاعتراف بوحدانيته تعالى التعرف إلى الله في السراء والضراء، واللجوء إليه في كل الأحوال، وعندما تلتقي الصفوف، ويكثر الصخب والهرج، تأتي التربية الاعتقادية للمجاهدين الالتزام بذكر الله في القتال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ

(١) تفسير الطبري-٣٨٦/١١.

(٢) فتح الباري-ابن حجر-كتاب المغازي-باب قول اللّه تعالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾-٣٤٣/٨-دار الفكر.

(٣) مدارك التنزيل-النسفي-تفسير سورة التوبة-دار النفائس.

فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأنفال: ٤٥.

وفي الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى في أضيق الأوقات. وهو وقت التحام القتال دليل واضح على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذكر الله على كل حال. ولا سيما في وقت الضيق، والمحب الصادق في حبه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد[١]. وقد قال قتادة في هذه الآية: (افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف. وأثناء المنازلة يغيب كل شيء إلا ذكره وتعظيمه)، قال الشاعر:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا ** وقد نهلت فينا المثقفة السمر[٢]

ففي الآية السابقة تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء. ويعتبر الدعاء وذكر الله عند لقاء العدو من هديه ﷺ في القتال، (إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر الله وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله وخفضوا أصواتهم) وكان يقول: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم)[٣]. وقد انتظر ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قام النبي ﷺ وقال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)[٤].

---

(١) أضواء البيان–الشنقيطي–٢/٤١٣.

(٢) تفسير ابن كثير–٦/١٤. والشاعر هو: عنترة بن شداد.

(٣) صحيح مسلم–كتاب الجهاد والسير–باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو–رقم (٣٢٧٧). و انظر: زاد المعاد –٣/٨٦

(٤) صحيح البخاري–كتاب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار–برقم (٢٧٤٤).

وفي غزوة الأحزاب ومما وصف الله الصحابة بقوله: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾الأحزاب: ١٠ طاف النبي ﷺ بالصحابة، فقال (ما على الأرض عصابة يذكرون الله عز وجل غيركم)[١].

* سادساً: التوبة وتكفير السيئات:

من تربية القرآن الكريم العقائدية للمجاهدين السعي لطلب غفران الذنوب وتكفير السيئات، وهذه المترلة تتحقق للمجاهد في سبيله، أو من رابط في حماية المسلمين، ومن أمثلة التربية العقائدية في تكفير الذنوب، قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾آل عمران: ١٩٥.

قال الطبري عن تفسيره لهذه الآية: (وقاتلوا) يعني: وقاتلوا في سبيل الله (وقتلوا) فيها (لأكفرن عنهم سيئاهم)، يعني: لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا)، يعني: جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله (من عند الله)، يعني: من قبل الله لهم) [٢].

وصح في الحديث: (....وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول:"أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة"، فيدخلونها بغير عذاب ولا

---

(١) سنن النسائي-كتاب المواقيت-كيف يقضي الفائت من الصلوات-برقم (٦١٨).

(٢) تفسير الطبري = ٧/٤٩٠.

حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون:"ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا" فيقول الرب جل ثناؤه:"هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي". فتدخل الملائكة عليهم من كل باب: (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)[1].

ومن نذر نفسه لله تعالى لحماية المسلمين، ونازل أهل الكفر والمنافقين، قد يتعرض لضعف الطبيعة البشرية، ومن أكثر ما يخذل العسكر هو بسبب ذنوبهم، وما حدث للجنود الأوائل في غزوة أحد إلا بسبب الذنوب، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: ١٦٥.

ومما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن كل ابن آدم خطاء، والعصمة لا تكون إلا للمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فهذه التربية العقائدية للمجاهدين تصور لنا أن من نزل ميدان القتال، ليس هو المنقى من الذنوب والعيوب، فمن رحمة الله بهم أنه أخبر في كتابه عن مآل معاصيهم (لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم ="ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابًا"، جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله)[2].

ومما ثبت في السنة أن الجهاد يكفر الذنوب، قول النبي ﷺ: (**يعطى**

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند-١٣٣/١١-برقم (٦٥٧١). والطبراني في المعجم الكبير-١١٤/١٤-برقم (١٤٧٣٥) ورواه الحاكم في المستدرك-٨١/٢-برقم (٢٣٩٣) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد-٢٥٩/١٠-وقال:.. رجال الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عشانة؛ وهو ثقة»

(٢) تفسير الطبري –٣١٩/٦.

الشهيد ست خصال: عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويزوج من الحور العين، ويؤمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر، ويحلى حلة الإيمان) [١].

والمجاهد في سبيل الله هو ضامن على ربه، ففي الحديث: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي، وإيمانا بي، وتصديقا برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه مسك...) [٢].

ومعنى تضمن الخالق عز وجل للمجاهد، يفسره بما ثبت في صحيح البخاري، عن رسول الله ﷺ قال: (تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة) [٣].

فيكون الله عز وجل قد تكفل للمجاهد (حصول ما ذكره، فلا يمكن فواته؛ لأن الله - تعالى - إذا ضمن شيئاً فلا بد من حصوله لمن ضمنه له) [٤].

وهذا الضمان، والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ

(١) رواه الإمام أحمد في المسند-٣٢٢/٢٩. وقال الألباني: إسناده حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة-٦٥٠/٧.

(٢) صحيح مسلم- ١٤٩٥/٣-برقم (١٠٣).

(٣) صحيح البخاري-٤/ ٨٦-برقم (٣١٢٣).

(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري-عبدالله الغنيمان-٢٢٨/٢. وانظر:جامع الأصول-٥٤٤/٩.

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة: ١١١[1].

* سابعاً: ميزان التفاضل عند الله:

تناولت كتب العقيدة، وكتب السلوك مسألة المفاضلة بين الخلق، وتناولوا المفاضلة بين البقاع والأزمان[2]، والمراد في هذه الفقرة بيان مجال التفاضل عند الله فيما يخص المجاهدين.

وفي التربية العقائدية للمجاهدين، نجد الآيات القرآنية أوضحت مسألة التفاضل بينهم، فقال تعالى: مبيناً ميزان التفاضل: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٥.

والآية الأخرى الدالة على المفاضلة، قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ الحديد: ١٠.

من خلال تدبر الآيتين الكريمتين نجد أن مجال التفاضل بينهما مختلف، وهو كما يلي:

أ- تنص آية سورة النساء أن مجال التفاضل بين المجاهدين، في مجال الجهاد بالمال والنفس، فمن جاهد بماله ونفسه ففضله أعظم ممن لم يجاهد بماله ونفسه.

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب–العراقي–١٩٤/٧.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية–ابن أبي العز. ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية–٣٦٠/٣. والحبائك في أخبار الملائك–السيوطي.

ب-وأما مجال التفاضل في آية سورة الحديد فهو الإنفاق والجهاد قبل فتح مكة، فمن أنفق وجاهد قبل الفتح فهو أعظم درجة ممن أنفق وقاتل بعد الفتح.

لقد ربى القرآن الكريم المجاهدين على المبادرة في الأعمال الصالحة، والحرص على بلوغ أعلى المقامات العظيمة، فجعل معيار التفاضل بينهم عظيم، فالجهاد والإنفاق قبل فتح مكة ليس مثل بعد الفتح، (وإنما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح؛ لأن حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقلّ وأضعف، وتقديم الإنفاق على القتال للإيذان بفضيلة الإنفاق لما كانوا عليه من الحاجة، فإنهم كانوا يجودون بأنفسهم، ولا يجدون ما يجودون به من الأموال.

والجود بالنفس أقصى غاية الجود ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ أرفع مترلة وأعلا رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ، قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها. قال الزجاج: لأن المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ.

وقد يكون ميزان التفاضل بفتح مكة أعظم من غيره، (لأن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء. غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة، والأنصار كثرة، والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال. ذلك متعلق مباشرة بالله، متجرد تجرداً كاملاً لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر وكل واقع قريب. لا يجد على الخير عوناً إلا ما يستمده

مباشرة من عقيدته. وهذا له على الخير أنصار حتى حين تصح نيته ويتجرد تجرد الأولين[1].

إن مما يجب أن تدركه الأمة في تربية جيوشها عقائدياً، أن يقع تفاضل بين جنودها، وأن يكون ميزان التفاضل بينهم فيما فيه السبق والنصرة لدين الله تعالى، والتمسك بأوامره والسعي في تطبيقه، وقد أجاز السلف رحمهم الله تعالى، المفاضلة بين الناس لمن يكون عالما بأحوالهم لينبه على فضل الفاضل ومن لا يلحق بدرجته في الفضل، فيمتثل أمره بتنزيل الناس منازلهم[2].

* ثامناً: الخوف والخشية من الله تعالى:

من العبادات القلبية والمرتبطة بالتوحيد تعظيم الخالق عز وجل وإجلاله، والخوف منه وخشيته في السر والعلن. والخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، وأن يتربى عليها من يكابد المشاق، وينازل الأعداء.

والخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

خوف السر: وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى: عن قوم هود عليه السلام إنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ هود: ٥٤ – ٥٥ وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

(١) في ظلال القرآن–سيد قطب–٣٤٨٣/٦–٣٤٨٤.

(٢) انظر: فتح الباري–٩٠/١٢.

أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس فهذا محـــرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، وهذا هو سبب نـــزول هذه الآيـــة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ –الآيات–.

الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك فهذا لا يذم، كما قال تعالى: في قصة موســى عليــه الســلام: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾[1].

لقد نزلت آيات القرآن تربي المجاهدين على أن لا يتركوا الجهاد والاستعداد له خوفاً من عدوهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥.

في هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: مـــا حجـــز العبد عن محارم الله[2].

وما دلت عليه الآية لأن أجواء الآيات تتحدث عن مسير الرســـول ﷺ وأصحابه بعد غزوة أحد إلى حمراء الأسد، متتـــبعين بـــذلك فلـــول المشركين، فأشيع خبراً مفاده تجمع المشركين لمقاتلة الرســـول ﷺ ومـــن

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد–عبدالرحمن آل الشيخ–٢٨١–٢٨٢. (بتصرف)

(٢) تفسير السعدي–١٢٤.

معه[1]، فترلت الآية تربي الجنود الأوائل ومن يأتي من بعدهم تربية عقائدية بلزوم التعلق بالله.

ومن صور تربية القرآن الكريم عقائدياً للمجاهدين، عرض مواقف التوجيهات التربوية في المجتمع الإسلامي، من أجل أخذ الحذر منها، والتنبيه على قيمتها المعنوية في الجيش الإسلامي، فقد ذكر الله حال أهل النفاق في الحروب وأن أبرز ما يتصفون به (الجبن والخوف)، قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ الأحزاب: ١٩.

هذه الآية تربي المجاهدين على أن البخل شبيه الجبن، لأن الجبان يبخل بماله ولا ينفقه في سبيل الله لأنه لا يتوقع الظفر فلا يرجو الغنيمة، وأما الشجاع فيتيقن الظفر والاغتنام فيهون عليه إخراج المال في القتال طمعاً فيما هو أضعافه[2].

وعن الخوف التوحيدي قال ابن تيمية رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ الأحزاب: ١٩: (دلت الآية على أن المؤمن لا يجوز له أن يخاف أولياء الشيطان ولا يخاف الناس. كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ بل يجب عليه أن يخاف الله، فخوف الله أمر به، وخوف الشيطان وأوليائه نهى عنه. وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا

(١) انظر: سيرة ابن هشام-٥٣/٣. وانظر: أسباب الترول-الواحدي-سورة آل عمران (١٧٥).

(٢) تفسير الرازي -٢٠١/٢٥.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ فنهى عن خشية الظالم وأمر بخشيته، والذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله. وقال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾[1].

إن الخوف وعدم منازلة أهل الباطل، وعدم تحمل تكاليف التدريب والتعليم، أخلاقيات ينبغي ألا يتصف بها المجاهدون، وقد حكم الله وقدر في كتابه بقوله ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب: ١٦.

* تاسعاً: الاستعانة والنصر لا يكون إلا بالله:

لم يرض الخالق سبحانه أن تنصرف القلوب إلى غيره في حال السراء وفي حال الضراء، فجاء التوجيه الإلهي للمجاهدين بأن تتعلق القلوب بالله سبحانه وتعالى فقال تعال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ آل عمران: ١٦٠ وقال مخاطباً أهل الإيمان من المجاهدين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: ٧.

وقد كانت الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام تربى جنودها الأوائل على تحقيق الاستعانة بالله كما أخبر الله عن نبيه موسى ﷺ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف: ١٢٨.

وفي قصص الأمم السابقة نماذج لملاحم أهل التوحيد مع المشركين،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١٤/٢٠٦.

كما تظهر معالم الاستعانة بالله تعالى في قتال طالوت لجالوت، وأخبر الله عنه بقوله :﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾البقرة: ٢٥٠.

وكانت النتيجة الحاسمة لهذه الملحمة ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ ليعلمها المؤمنون أو ليزدادوا بها علماً. (وليتضح التصور الكامل لحقيقة ما يجري في هذا الكون، ولطبيعة القوة التي تجريه. إن المؤمنين ستار القدرة؛ يفعل الله بهم ما يريد، وينفذ بهم ما يختار بإذنه ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول لهم ولا قوة ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته وهذه منة من الله وفضل. وهو يؤدي هذا الدور المختار، ويحقق قدر الله النافذ[1].

وفي أمة محمد ﷺ ظهر مقام صدق الجنود الأوائل، واستعانتهم بالله تعالى، كما أخبر عنهم في غزوة الأحزاب، بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾الأحزاب: ٢٢.

فهذه الآية الكريمة تبين لنا الوصف التربوي العقائدي للجنود الأوائل في مجال استعانتهم بالله تعالى وحده دون سواه، (فعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله في النهاية؛ وبشارة الرسول ﷺ لهم، تلك البشارة التي تتجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق على الرغم من هذا كله، فإن الهول الذي كان حاضراً يواجههم كان يزلزلهم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم. ولكن كان إلى جانب الزلزلة، وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع

(١) في ظلال القرآن–سيد قطب–٢٦٣/١. (بتصرف)

بالله؛ والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله؛ والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن؛ وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها. ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سبباً في انتظار النصر. ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ٢١٤ [١].

* * *

(١) في ظلال القرآن –سيد قطب-٥/٢٨٤٣.

نتائج البحث

وبنهاية البحث في جوانب تربية القرآن للمجاهدين في مسائل توحيد العبادة، يقدم الباحث أبرز التوصيات والنتائج لهذا البحث، وهي:

١. أهمية إقرار مناهج تعليمية، وبرامج تدريبية للمجاهدين تربطهم بكتاب الله، وتربيهم على المفاهيم والمبادئ الصحيحة، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم السلف الصالح لهما.

٢. إن التربية العقائدية للمجاهدين، والمستمدة من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ هي من أهم الأمور، وبخاصة في هذا العصر التي تواجه الأمة الإسلامية فيه حرباً عقائدية.

٣. إيجاد مراكز بحث، ومؤسسات تعليمية تعنى بالدراسات العسكرية الإسلامية، وفي جميع مجالات العلوم والمعارف الإسلامية.

٤. ظهور الثلة المباركة من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، كنموذج في الواقع البشري للجنود الأوائل، وتمثلهم للعقيدة العسكرية في القرآن الكريم، من أعظم الأدلة على إمكانية ممارسة هذه العقيدة على المجاهدين.

٥. إن الأمم التي تسعى لإقرار مبادئها على الناس، والحفاظ على قوتها وحضارتها، يلزم أن تربي من يقوم بهذا الأمر وهم العسكريون، والتربية العقائدية من أهم مجالات التربية.

٦. لا يعني العناية بالتربية العقائدية إهمال التربية الميدانية البدنية – التأهيل العسكري- للمجاهدين، لأن من مفاهيم التربية العقائدية العناية

بالتدريب البدني، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال: ٦٠ الآيات.

وأسأل الله العظيم، أن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه وجميع المسلمين، وأن يكون صفحة من الصفحات العلمية للمجاهدين في بلاد المسلمين.

* * *

المصادر والمراجع

- أبوبكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي –كتاب اعتقاد أهل السنة–دار الريان–الإمارات العربية المتحدة–الفجيرة –ط:١–١٤١٣هـ.
- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي –الجامع لشعب الإيمان–دار الكتب السلفية–بومباي–الهند–ط:١–١٤٠٦هـ.
- أحمد بن شعيب النسائي–سنن النسائي–دار البشائر الإسلامية–١٩٨٦م.
- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية –السياسة الشرعية– وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية–١٤١٩هـ
- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية– مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – ط:٢–١٤٠١هـ–مكتبة المعارف–الرباط.
- أحمد بن علي ابن حجر–فتح الباري شرح صحيح البخاري – المكتبة السلفية–القاهرة–الطبعة الرابعة–١٤٠٨هـ
- إسماعيل بن كثير–تفسير القرآن العظيم–مطبعة الشعب–القاهرة.
- سيد قطب–في ظلال القرآن– دار العلم للطباعة والنشر–جدة– ط:١٢–١٤٠٦هـ
- عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي–الشرح الكبير–دار الكتاب العربي–بيروت–لبنان–١٤٠٣هـ.
- عبدالرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون–الدار التونسية للنشر– المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–١٩٨٤م.
- عبدالرحمن آل الشيخ–فتح المجيد شرح كتاب التوحيد–دار السلام– الرياض–١٤١٤هـ
- عبدالرحمن السعدي– القول السديد شرح كتاب التوحيد – وزارة

الشئون الإسلامية- بالسعودية-١٤٢١هـ

- عبدالرحمن السعدي- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- السعدي- تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق -مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
- عبدالرحمن بن إسماعيل الصابوني-عقيدة السلف أصحاب الحديث- الدار السلفية-الكويت-ط:١-١٤٠٤هـ.
- عبدالعزيز الجليل-التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة- الطبعة الأولى١٤٢٤هـ
- عبدالله بن أحمد بن ابن قدامة -لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد-دار الهدى للنشر والتوزيع-الرياض-ط:٣-١٤٠٨هـ.
- عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي -مدارك التتريل- دار النفائس.
- عبدالملك ابن هشام-سيرة ابن هشام-تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد-توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية-١٣٥٦هـ
- علي الأشعري- الإبانة عن أصول الديانة- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- علي الأشعري-مقالات الإسلاميين – مكتبة النهضة المصرية- القاهرة-ط:١-١٣٦٩هـ.
- علي بن أبي العز - شرح العقيدة الطحاوية-مكتبة المعارف-الرياض- ط:٢-١٤٠٧هـ.
- علي بن أحمد الواحدي-أسباب الترول- دار الباز للنشر والتوزيع - مكه المكرمة.
- محمد الألباني-سلسلة الأحاديث الصحيحة-مكتبة المعارف-الرياض-

ط:٢-١٤٠٨هـ.
- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي-أضواء البيان- دار عالم الكتب-بيروت
- محمد الرازي فخر الدين -التفسير الكبير-الرازي-دار إحياء التراث العربي.
- محمد أمين المصري-من هدي سورة الأنفال- دار الأرقم-الكويت.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية-مدارج السالكين- تحقيق عبدالعزيز الجليل-دار طيبة-الرياض-ط: الأولى-١٤٢٣هـ
- محمد بن أبي بكر. (المعروف): ابن القيم الجوزية- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية -دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان-ط:١-١٤٠٨هـ.
- محمد بن أبي بكر. (المعروف): ابن القيم الجوزية-زاد المعاد -مؤسسة الرسالة-بيروت-ط:٢٧-١٤١٤هـ.
- محمد بن أحمد (ابن النجار)-شرح الكوكب المنير-جامعة أم القرى-ط:١-١٤٠٨هـ.
- محمد بن أحمد القرطبي-الجامع لأحكام القرآن- دار الكتب المصرية-ط:٢-١٣٧٢هـ.
- محمد بن أحمد بن سهل السرخسي-المبسوط في شرح الكافي-دار المعرفة-بيروت-لبنان-١٤٠٦هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري-دار القلم-بيروت-١٩٨٧م-ترقيم العالمية
- محمد بن جرير الطبري- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية-دار هجر-القاهرة-ط:١-

١٤٢٢هـــ.
- محمد بن عبدالوهاب-الكبائر-وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية-١٤٢٠هـــ.
- محمد بن عبدالوهاب-كشف الشبهات-المكتب الإسلامي-دمشق-ط:٣-١٣٩٨هـــ
- محمد بن علي الشوكاني-تفسير فتح القدير- دار المعرفة-بيروت-لبنان.
- محمد بن عيسى الترمذي- دار الكتب العلمية-ترقيم العالمية.
- محمد قطب- منهج التربية الإسلامية-محمد قطب-دار الشروق-الطبعة السادسة-١٤٠٢هـــ.
- محمود الألوسي-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-ط:٤-١٤٠٥هـــ.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري-صحيح مسلم -دار إحياء الكتب العربية-١٩٨٥م.
- يحي ابن شرف الدين النووي: المجموع-دار الفكر-بيروت-لبنان-ط:١-١٤١٧هـــ.

* * *